التمرد السياسي في شعر يحيى السماوي: دراسة في ضوء سيمياء الأهواء

Political Rebellion in the Poetry of Yahya al-Samawi: A Study in the Light of the Semiotics of Passions

أ.د. محمد فليح الجبوري: كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق

م. عايد تركي عطية: الكلية التربوية المفتوحة، مركز المثنى، العراق

***Prof. Dr. Mohammed Faleh Al-Jubouri**: College of Education for Human Sciences, Al-Muthanna University, Iraq*

Email: kmf19682005@mu.edu.iq

***Mr. Ayyed Turki Atya**: Open Educational College, Al-Muthanna Center, Iraq*

Email: mast1.ayidterki@mu.edu.iq

Doi: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i3.1814

تاريخ الاستلام: 2026-01-10 تاريخ القبول: 2026-02-10 تاريخ النشر 2026-03-01

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على تحديد هوى التمرد ورصد تمظهراته في نتاج الشاعر يحيى السماوي في ضوء سيمياء الأهواء، انطلاقًا من شغف الخوض في الدراسات النقدية، والسعي إلى الكشف عن مضمرات نصوصه الشعرية التي تميز بها، وبيان التعالق الوجداني بينها وبين سيمياء الأهواء من خلال تفكيك مستغلقات النصوص واستنطاق دلالاتها. كما تنطلق من الإقرار بثراء تجربته الشعرية وقابليتها لتعدد القراءات والتأويلات السيميائية، وهو ما دفع إلى وسم الدراسة بـ(هوى التمرد في شعر يحيى السماوي: دراسة في ضوء سيمياء الأهواء)، بهدف استنطاق ذاكرة الذات وانفعالاتها. وقد اعتمدت الدراسة الخطاطة الاستهوائية التي افترضها غريماس آليةً إجرائيةً للكشف عن مسار البناء الاستهوائي لهوى التمرد، وخلصت إلى أنّ هذا الهوى يمثل ردّة فعل للانفعالات التي تصارعها الذات المضطربة صعودًا وهبوطًا وفق حالة الرفض التي تتجلى في نصوصه، بما يعكس توترًا ناتجًا عن الشعور بالضياع الوجودي والاغتراب، وهو ما يرتبط بتجربة الشاعر في التشرد والسجن والتعذيب والهجرة، حيث تحولت مشاعره المكبوتة إلى طاقة من الغضب والثورة والتمرد. وتوصي الدراسة بضرورة تحقيق إصلاح سياسي واجتماعي يسهم في استقرار الفرد، باعتبار الشعر أداة معبرة عن المجتمع، تعكس أزماته وتحولاته وتتأثر بسياقه السياسي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التمرد السياسي، يحيى السماوي، سيمياء الأهواء، الذات الشعرية، الانفعال الوجداني، الخطاب الشعري، البناء الاستهوائي

Abstract:

This study seeks to identify the passion of rebellion and trace its manifestations in the poetry of Yahya Al-Samawi in light of the Semiotics of Passions. It stems from a scholarly interest in critical studies and a desire to uncover the implicit dimensions of his poetic texts, which distinguish him from others, and to reveal the emotional interrelation between his poetry and the Semiotics of Passions through analyzing and interpreting complex textual structures. The study also acknowledges the richness of his poetic experience and its openness to multiple semiotic readings and interpretations, which motivated the title: *The Passion of Rebellion in the Poetry of Yahya Al-Samawi: A Study in the Light of the Semiotics of Passions*, with the aim of exploring the memory of the self and its emotional dynamics. The research adopts Greimas's passional schema as a procedural framework to uncover the trajectory of the passional construction of rebellion. The findings indicate that the passion of rebellion in Al-Samawi's poetry represents a reaction to the emotional struggles experienced by a troubled self, reflecting tension rooted in existential loss and alienation. This is closely linked to the poet's lived experiences of displacement, imprisonment, torture, and exile, through which suppressed emotions transformed into an outburst of anger, resistance, and rebellion. The study recommends the necessity of political and social reform to ensure individual stability, as poetry serves as a reflection of society, mirroring its crises and transformations while being deeply influenced by its political and social context.

Keywords: Political Rebellion, Yahya Al-Samawi, Semiotics of Passions, Poetic Self, Emotional Affect, Poetic Discourse, Passional Structure.

المقدمة:

يجدر بنا قبل الولوج في أضرب التمرد التي لاح أفقها في سماء نتاج الشاعر يحيى السماوي هوّية لدواخل ذاته الهووية أن نقف عند ماهية التمرد وما ينطوي عليه من مدلولات انعكست نمطًا سلوكيًا وانفعاليًا تهيمن عليه مشاعر الرفض والازدراء في مسار الاستهوائي متوتر، فسلوك الفرد نتاج طبيعي لتعالق شخصيته مع عناصر البيئة، التي يؤدي احتكاكه بها وتفاعله مع معطياتها إلى تصادمه معها متى ما أحسن الفرد بضغوط وتاثيرات مغايرة لما ألفه و تعارف عليه[1]، لذا فإن الفرد إذا ما اعترض أمرا وحال بينه وبين إشباع حاجاته الأساسية، أو مبادئه التي التزمها سيدفعه نحو التمرد والعصيان والرفض ويتغلب على مساره لاستهوائي روح التحدي والمعارضة[2]، ووفقا لهذا المعنى يمكننا القول أن التمرد ردّ فعل ينماز بالعنف تجاه فعل مستثير ناشيء من التعارض بين غايات الفرد والواقع الذي يصارعه، فهو خروج نواميس المجتمع وقوانين النظام، ورفض الخضوع لأي سلطة.

ويمكن لنا عدّ التمرد (هوى مركبا) أي أنه يقوم على أهواء إيجابية تارة وسلبية تارة أخرى، والفيصل بينهما هو الموقف الذي يتخذه الفرد المتمرد الذي لا ينفك عن قول: لا، فهو ليس مجرد عبد يهب عاصيًا في وجه سيده ولكنّه إنسان يهبّ في وجه عالم يسوده منطق السادة والعبيد[3]، وبناءً على ما تقدم فإن التمرد هوى يقوم على موقف جدلي نابع من صراعات الذات الهووية في محاولة للبحث عن متنفس يحررها من أزمة الوجود والحرية المفقودة ضمن مسار انفعالي يموج بالحركة ويضج غضبًا وثورة

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في غياب التوجه الواسع لدراسة سيمياء الاهواء في الشعر العربي الحديث، إذ اتجهت معظم الدراسات الى دراسة السيميائية بشكل عام من دون التعمق في هذا الموضوع وهذا مما شجعنا لدراسة التمرد في شعر يحيى السماوي دراسة في ضوء سيمياء الأهواء علية يتم تحديد مشكلة الدراسة من خلال السؤال الاتي: ما مضمون التمرد وماهي سيمياء الاهواء؟ وما آلياتها؟ وكيف وظفها الشاعر يحيى السماوي؟

(1) عبد الرحمن، سعد. (1983م). السلوك الإنساني (ط3). القاهرة: مكتبة الفلاح، ص 46.

(2) رضوان، شفيق. (1996م). علم النفس الاجتماعي (ط1). القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص97.

(3) كامو، ألبير. (2024م). الإنسان المتمرد. ترجمة: علي أحمد (ط1). دمشق: دار التنوع الثقافي، ص 17.

منهج الدراسة:

استعمل الباحث أسلوب التحليل السيميائي للنصوص الشعرية التي تحتوي على التمرد واعتمد البحث على مجموعة من المصادر السيميائية والأدبية المهمة.

أهداف الدراسة:

1- بيان الأطر النظرية والإجرائية لسيمياء الأهواء، والكشف عن آلياتها المفاهيمية في تحليل الخطاب الشعري.
2- إبراز فاعلية هوى التمرد في شعر الشاعر، وبيان تمظهراته الدلالية والانفعالية في تشكيل التجربة الشعرية.
3- تصنيف المقطوعات الشعرية وتقسيمها وفق آليات سيمياء الأهواء، بما ينسجم مع مسار البناء الاستهوائي للنصوص المدروسة.

أهمية الدراسة:

يُعدّ عنوان البحث جديدًا ومتميزًا بطابعه الحداثي، إذ لم يسبق – في حدود علمنا – أن تناوله باحث بالدراسة والتحليل بهذه الصيغة والمنظور. وتبرز أهمية هذا العنوان من ندرته وتميز مقاربته، فضلًا عن ارتباطه بشخصية أدبية بارزة هي الشاعر العراقي يحيى السماوي، الذي تمثل تجربته الشعرية فضاءً غنيًا بالتحولات الوجدانية والانفعالية، ما يجعل دراستها في ضوء سيمياء الأهواء إضافة نوعية إلى الحقل النقدي.

دوافع اختيار موضوع الدراسة:

تتعدد الدوافع التي حفزت إلى إنجاز هذه الدراسة، ومن أبرزها:

1- غياب دراسة متخصصة تتناول شعر هذا الشاعر في ضوء سيمياء الأهواء، الأمر الذي يكشف عن فجوة بحثية تستدعي المعالجة والتحليل.
2- أهمية التمرد بوصفه علامة سيميائية مركزية في شعره، لما يمثله من بؤرة دلالية وانفعالية تسهم في تشكيل رؤيته الشعرية وبناء خطابه الإبداعي.

صعوبات الدراسة:

واجهت الدراسة عددًا من التحديات البحثية، من أبرزها:

1- صعوبة استنطاق النصوص الشعرية والكشف عن طبقاتها الدلالية العميقة، نظرًا لكثافتها الرمزية وتعدد مستوياتها التأويلية.

2- محدودية الدراسات السيميائية السابقة التي تناولت تجربة الشاعر، ولا سيما في إطار سيمياء الأهواء، مما صعّب الاستناد إلى مرجعيات تطبيقية مماثلة.

3- تعقيد عملية تصنيف النصوص الشعرية وتقسيمها وفق آليات غريماس وفونتاني، لما تتطلبه من دقة منهجية في تتبع المسار الاستهوائي وتحديد مراحله داخل البناء النصي.

هيكلية الدراسة:

اعتمد البحث على هيكلية قوامها (مقدمة ومدخل عن مفهوم التمرد ثم جانب تطبيقي على النصوص الشعرية معتمدا على الخطاطة الأستهوائية التي وضعها غريماس وفونتاني)

تمهيد حول التمـــرد السياسي:

يعدّ التمرد السياسي واحدًا من أضرب التمرد الذي يعكس صورة الخروج عن كلّ ما هو خارج عن حدود قدرة المرء على التحمل، وحمله على الثوران والتحدي، ويمثل دوره المتمرد الرافض لكل أشكال الظلم والطغيان والفساد، والذات الحاملة لإرادة المقاومة والإصرار على التحرر من الواقع وقهر الصعاب.

بل هو الأداة التي تحثّ على كسر قيود الأنظمة الجائرة والاحتجاج عليها؛ لما يستشعره الفرد من تناقض بينها وبين ما يؤمن به من مبادئ[1]، فيدفعه هذا التناقض إلى التمرد على الواقع المرير والسخرية منه، ويكمن دور (التمرد السياسي) في إرادة تغيير الوضع الراهن، ومواجهة الواقع، وتطلع إلى واقع أفضل يشعر فيه المرء بالحرية والانفتاح بلا حواجز، فضلًا عن تخلصه من شعور الغربة داخل وطنه[2].

ويرتبط هذا النوع من التمرد بمعنى (الثورة والرفض)؛ فالمتمرد هو الثائر الذي يحمل شعار (كلا) ويحمل في الوقت نفسه شعاراً معادلًا له هو (نعم)[3]، بمعنى أنه لابدّ له من أن يأخذ موقفًا من الوضع السائد يعكس فيه حالة رفضه لكل الأوضاع، ووصفه بأنه إنسان ضعيف[4]، ما بين (كلا ونعم) يفهم التمرد هنا (أن الأمور طالت أكثر مما ينبغي... وأن ثمة حدًا يجب الوقوف عنده أو: إلى هنا وكفى،

(1) عزة، محمد رشاد. (2023م). ظاهرة التمرد في الشعر العربي بين القديم والحديث. مجلة حوليات آداب عين شمس، مج51، ع5، يوليو، ص 207.

(2) المصدر السابق، ص212.

(3) كامو، (2024م). الإنسان المتمرد. ص 17.

(4) يحياتن، محمد. (1984م). مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية. ط2، بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، ص20-21.

أما بعد هذا فلا)[1]، ومن هذا المفهوم فإن المتمرد سياسيًا ارتضى لنفسه أن يكون الأداة الفاعلة التي تمتلك إرادة المبادرة للكشف عمّا تريده الفئة الناقمة والمستاءة من الظروف والأحداث السياسية السلبية التي ازدحمت معها رغبات الفرد وأهدافه بالعيش في مجتمع تسوده القوانين والأنظمة والتي تحقق له الأمن والاستقرار بدلًا من الذل والهوان[2].

وبناءً على ما تقدم يتضح أن التمرد السياسي يستمد ماهيته من التشريعات التي تضعها السلطة والنظم السياسية وفق المفاهيم العسكرية التي تقوم على حماية الدولة والحفاظ على المجتمع وبهذه الاعتبارات يصبح التمرد انعكاسًا لمعنى الرفض والمقاومة للسلطة؛ لأنه رفض لأسس العلاقات والمقولات الفكرية للنظام والدعوة لتغييره[3].

ومن ذلك لا يمكن أن نعدّ التمرد مرادفًا للثورة بل أن الثورة نتيجة حتمية للتمرد أحدهما يكمل الآخر بحلول منطقية تخدم فكرة التغيير، فإذا كان التمرد حركة هدم فإن الثورة الملازمة له هي حركة بناء وتغيير[4].

وتتمظهر ظاهرة التمرد في بُعدها السياسي عند الشاعر (يحيى السماوي) في موقفه الرافض للواقع السياسي الذي يعيشه بلده العراق، وقد يتعدى الرفض إلى الاحتجاج والتذمر على الأنظمة التي تحتكر إرادة الفرد وحريته، فتتناقض معه مع حقه في العيش بأمن وكرامة.

ولعل أكثر ما يدفع الشاعر السماوي إلى التمرد السياسي هو ما يمرّ به من مواقف نفسية تدفعه إلى نظم النصوص الشعرية تعبيرًا عمّا تستشعره ذاته من نوازع مخبوءة تحت طي الكتمان فتتحول إلى ذات فاعلة تنزع إلى صوغ الكلمات التي تتفجر على هيأة ثورة متمردة على الواقع المرير وما يحمله من سلبيات، ومن ذلك قوله في قصيدة:(الإمبراطور)[5]:

أيّها الإمبراطور

المدينة لا تحتاج كل هؤلاء العسس والمتاريس

(1) بدوي، عبد الرحمن. (1980م). دراسات في الفلسفة الوجودية. ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 219.

(2) دوابشة، محمد. (2009م). ظواهر من التمرد في الشعر الأموي، ع13، ص 214..

(3) الكيالي، عبد الوهاب. (1999م). الموسوعة السياسية. ج1، ط4، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 785.

(4) المصدر السابق، ص785.

(5) السماوي، مناديل من حرير الكلمات، ص117–123.

ستكفي لإضاءتها

شمعة عدل واحدة

كثرة السجون لا تعني

تطبيق العدالة

إذا كان الوطن أصم

والشعب أخرس

والقاضي أعمى

كيف يتم التفاهم؟

جرحي أكبر من جسدي

آهتي أكبر من صدري

صرختي أكبر من حنجرتي

أكل هذا وتسألني

لماذا انطفأت قناديلي

ضحكة

إثر ضحكة

حين اتّسخ علم الوطن

غسلناه بالماء

ترى

بماذا نغسل الماء

إذا اتسخ

أنهارنا تفيض قيحًا وصديدًا

بقع من الصفعات الأمريكية

على وجوه الساسة الزّور

بقع من الدم المتخثر

على الأرصفة

بقع من النفط المهرب

على رمال البصرة

بقع بالحبر الأحمر

على الأسماء المطلوبة للمسدسات كاتمة الصوت

بقع تحمل رائحة العار

نحن جميعًا

نستطيع حياكة طاقية الجواهري

ولكن

ايّنا يستطيع أن يكون الجواهري

يقوم مضمون هذا النص على المسار الاستهوائي الآتي:

التكوّن	← الاستعداد	← المحور الاستهوائي	← الانفعال	← التقييم الاخلاقي
أيها الامبراطور	جرحي أكبر من	حين اتسخ علم الوطن	بقع من الصفعات	نحن جميعا
…	…	…	…	…
كيف يتم التفاهم	أثر ضحكة	أنهارنا تفيض	بقع تحمل رائحة العار	أيّنا يستطيع أن

إذ يوجه الشاعر منذ بداية النص نقدًا لاذعًا للحكومات السياسية، التي كانت سببًا رئيسًا في شقاء الشعب وانطفاء هيبة الوطن، فيصرّح منبها (أيها الامبراطور)، إذ تمثل هذه العبارة مرحلة ما قبل الهوى، إذ تتهيأ الذات الشاعرة إلى الشعور بهوى معين وفق مسار البناء الاستهوائي للخطاب وتحريك الأحداث، ويعكس أسلوب النداء (أيها) بما يتضمنه من توجيه وتحذير للشعور الداخلي للذات وبداية كشفها عمّا ينتابها داخليًا من أهواء؛ لأنها في هذه المرحلة تمتلك الإرادة لكونها ذاتا فاعلة مستعدة لاستقبال التحولات والأدوار الوظيفية وفق مسار الاستهواء الذي يكتنفها، تلك هي الصورة

التي جسدها في قوله: (فالمدينة لا تحتاج كل هؤلاء العسس، ستكفي لإضاءتها شمعة عدل واحدة، فكثرة السجون لا تعني تطبيق العدالة... كيف يتم التفاهم).

فقد كشفت الذات عن إحساسها وشعورها الداخلي الذي يعكس حالة الرفض والتمرد ويتجلى في تكثيف المشاعر من خلال عملية التلفظ التي تعكس تلبس الذات (المحتملة) وانصهارها مع الحدث في حالة شعورية دفينة بأعماق الشاعر.

وتبنى مرحلة التكوّن أو الانبثاق الشعوري في هذا النص على ذات الشاعر المجروحة، إذ قال مصرحًا (إذا كان الوطن أصم، والشعب أخرس، والقاضي أعمى، كيف يتم التفاهم؟)، إذ تكمن في عبارة قوله:(كيف يتم التفاهم) أزمة الذات التي تستشعر الأحداث، وصراعها الداخلي الذي فرضته تأثيرات الواقع المرير، فتحولت اليقظة الانفعالية من الانكشاف إلى التحديد لتبدأ عندها مرحلة الاستعداد للتعبير عن هوى الرفض والتمرد لتظهر الصورة العاطفية على مسار البناء الاستهوائي بوصفه فائضًا هوويًا متمثلاً بقوله: (جرحي أكبر من جسدي، آهتي أكبر من صدري، وصرختي أكبر من حنجرتي، أكل هذا وتسالني... إثر ضحكة).

وقد عكست هذه الملفوظات المؤهلات التي تمتلكها الذات وفق المسار الوجودي للتحويل من الاحتمال إلى التحقق إذ أن التكوّن مرحلة لا تقبل التوقع أما الاستعداد فهو مرحلة تستوجب توقعية سلوك الذات وفقًا للمؤهلات التي يعبر بها عن هوى معين أي مصنف[1].

ويظهر أن أزمة الذات (المتحينة) هي صورة عاكسة لأزمة إنسان فرضت عليه تأثيرات الواقع المرير، أنها أزمة (ذات) نزعتها الجماعية فالذات الهوّية تعمل على الاتصال بالعالم الخارجي بمسار موازٍ للواقع[2]، وفي ظل معطياته تحولت إلى أزمة للتعبير عن إرادة الرفض وتحقيق الحرية التي تتمظهر في جوانيّة النفس لتحاكي القيم الانفعالية التي عاشتها في مرحلتي (التكوّن والاستعداد) عند مرحلة الكيفية الاستهوائية التي تمظهرت في قوله:(حين اتسخ علم الوطن غسلناه بالماء، ترى بماذا نغسل الماء إذا اتسخ؟ وأنهارنا تفيض قيحًا وصديدًا).

فالأزمة الجماعية تنطلق من أزمة الذات عبر الملفوظ السردي في ضمير الجمع (غسلناه، نغسل، أنهارنا) لتصيّره أزمة حياة أو وطن، ثم يبدأ استحضار الجسد في مرحلة الانفعال لإغناء التفاعلات بين (الذات والواقع) وتحقيق الانصهار بالتواصل مع الحدث الذي تمثل بقوله: (بقع من

(1) غريماس، أ. ج.، وفونتيني، سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص135.

(2) كرانستون، موريس. (1981م). سارتر بين الفلسفة والأدب. ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص 152–153.

الصفعات الأمريكية على وجه الساسة الزور، وبقع من الدم المتخثر على الأرصفة، بقع من النفط... بقع تحمل رائحة العار)

وقد اختزل الشاعر بتكثيف صور الحدث وما تصارعه الذات (المتحينة) من مرارة الظلم والجور والإرهاب حتى غدا الوطن كالجسد الممزق؛ ليصل بناء إلى مرحلة التهذيب التي تنتهي عندها إرادة الذات (المتحققة) سلبا أو إيجابا بقوله: (نحن جميعا نستطيع حياكة طاقية الجواهري، لكن أيّنا يستطيع أن يكون الجواهري) فالجواهري هو رسالة موحية من الشاعر رافضة للخنوع متمردة على الواقع أمام ظالم مهين، إذ أنجزت و(لكن) أي منا يحمل روح الجواهري؟ إذ اختزل الشاعر ما يخبئه من مشاعر وأحاسيس خلف لفظة (الجواهري) ليجعل منها ثيمة تعكس استسلام الذات وعدم تحقيق غايتها فكان التهذيب سلبًا بنزعته الجماعية العاكسة لإرادة الشعب الخانعة.

ويستمر الشاعر في بيان موقفه المتمرد مصرحًا لا كتمًا في قصيدته التي وسمها بعنوان (الوطن استحى... فمتى يستحي الرجال) قائلاً[1]:

وعدونا بالمصانع

فأقاموا والسجون

بالمسرّة

فغرسوا الفتنة

بالميلاد

فأقاموا المأتم

وطني ليس زائدة دودية

لماذا يريدون استئصاله

يا لغضب الموتى الأحياء

من الأحياء الموتى

أكل هذه الدماء التي سفحت

والدموع التي ذرفت

(1) السماوي، يحيى، شاهدة قبر من رخام الكلمات، ص82–84.

والأعراض التي انتهكت

وما أطلقته الصدور من آهات

والبيوت من توابيت

لم توقظ السيوف من سباتها

ولم تطلق سراح الكرامة

من معتقل الخنوع

إن لوحا خشبيا في بحر

قد يكون البديل

عن وطن

يتمدد كالتابوت

في خارطة العالم

من أين للوطن الغريق

بلوح خشبي أو طوق نجاة

أما من جواز سفر مزّور

لوطن رؤوم

نكّس ترابه خجلا

من قادته المدجنين

إذ يسير هذا النص على الخطاطة الاتية:

التكوّن	← الاستعداد	← المحور الاستهوائي	← الانفعال	← التقييم الاخلاقي
وعدونا بالمصانع	وطني ليس زائدة	أكل هذه الدماء التي سفحت	إن لوحًا خشبيًا	من أين للوطن
…	…	…	…	…
فأقاموا المآتم	من الأحياء	من معتقل الخنوع	في خارطة العالم	من قادته المدجّيين

يظهر في هذا النص ارتباط الوعي العاطفي للذات الاستهوائية بالشروط القبلية للدلالة أي مقدمات التوتر والتي تمظهرت في عنوان النص (الوطن استحى فمتى يستحي الرجال؟) فهو الأريج المبهم الحامل للمعنى الذي سيظهر على السطح من وجدانيّة الخطاب، فالاضطراب الداخلي للذات يجعلها في حالة تهيؤ للإحساس بعاطفة ما فتعكس مرحلة الانكشاف الشعوري التي يمثلها قوله: (وعدونا بالمصانع... فأقاموا السجون... فأقاموا المأتم).

فالتناقضات التي وظفها الشاعر في هذه المرحلة أظهرت ملامح الشعور العاطفي الذي انتاب الذات الاستهوائية التي تمتلك الرغبة في استقبال حضور الأهواء كفائض، فالذات (المحتملة) في تيه من المثيرات المتناقضة التي تقاسمتها الوعود المتضاربة ما بين (المصانع والسجون، والمسرة والفتنة، والميلاد والمأتم).

وشكلت أزمة الذات المطالبة بالحقوق في واقع انعدمت فيه النزاهة ومثل قوله: (وطني ليس زائدة دودية... من الأحياء الموتى) مرحلة الاستعداد، إذ تحققت الكفاءة التي تؤهل الذات لأن تكون ذاتًا استهوائية (محينة)؛ لامتلاكها الإرادة والمعرفة لما ينبثق من آثار معنوية في الخطاب وهي نفسها المؤهلات التي تعينها على التعبير عن هوى الرفض والتمرد الذي جاء مبنيًا على حوار من طرف واحد.

إذ لا تنتظر الذات (المتحينة) من الآخر أجوبة (لماذا يريدون استئصاله؟)؛ لأنها مدركة لوقعها المؤلم الذي غدا به الأحياء أمواتًا والأموات أحياءً، لتبدأ مرحلة الصوغ الاستهوائي الذي تدرك فيه الذات الاستهوائية قيم انفعالها للنهوض بفعل يرتبط برغباتها أي نزوعها إلى التمرد كرد فعل أدركته في مرحلة الاستعداد، وقد مثل ذلك في قوله: (أكل هذا الدماء التي سفحت... من معتقل الخنوع).

فقد أحكم الشاعر في هذا النص القيم الانفعالية التي كانت سببًا للخروج على الواقع موظفًا الاستنكار في التساؤل والتعجب من عدم الاكتراث وسيلة الاستنهاض الإرادة التي وصلت إلى مرحلة الحدث الاستهوائي في مسار الانفعال في قوله: (إن لوحًا خشبيًا... في خارطة العالم) ليعكس ما يعتري الذات من خيبة أمل ويأس إذ باتت تتمنى الموت بدلًا من العيش في وطن بلا روح (فلوح خشبي في بحر) بات حياة في مقابل (وطن كالتابوت).

لتبدأ بعدها مرحلة الكشف عن المخبوء بعد هذا المسار المتدرج الذي ستفضي في مرحلة التهذيب إلى رؤية قائمة على لحظة انفعالية منجزة تقوم فيها الذات (المتحققة) وفق المنظور الجماعي سلبيًا، فالذات تتوسل طرق النجاة بلوح خشبي، أو جواز سفر مزوّر تنجو به من وطن عطوف انتكس رأسه وطأة من خنوع ولاة أمره وهو ما صرّح به صادحًا (من أين للوطن الغريق... ومن قادته المدججين) الذي يعكس لوذ الذات (المتحققة) بالأزمة الاستهوائية دون ما إنجاز.

وينتقل الشاعر إلى ميدان آخر نلتمس فيه نزق الروح المتمردة رفضًا وثورة في رسمها للعالم الخاص بأزمتها الإنسانية التي استحالت أزمة استهوائية لها محيطها الخاص، تلك قصيدته التي صدرها بعنوان (جميعهم أبرهة الضليل) يقول فيها[1].

لا صبر بعد اليوم

لا سكوت

ولاتكم جميعهم (أبرهة الضليل) في

جنوحه

أطهرهم أخبث من هاروت

فواصلوا دفاعكم عن المنافقين

والطاغوت

دكّوا على صغارنا

البيوت

سيّان

إن سفحتم الدماء في بغداد

والبصرة

أو ذي قار والحلة

أو في الكوت

نموت

لكنّ عراق الله لن

يموت

(1) السماوي، ملحمة التكتك، ص53–54.

يمكن لنا تمثيل المراحل التي مرّ بها هذا النص بالآتي:

التكوّن	←	الاستعداد	←	المحور الاستهوائي	←	الانفعال	←	التقييم الاخلاقي
العنوان		لاصبر بعد اليوم		فواصلوا دفاعكم عن المنافقين		سيّان		نموت
جميعهم		...		...		...		...
أبرهة الضليل		اطهرهم أخبث		البيوت		أو في الكوت		لكن العراق لن يموت

يمثل عنوان النص (جميعهم أبرهة الضليل) مرحلة انبثاق الوعي الشعوري لدى الذات الاستهوائية، إذ تكوّن عندها التهيؤ إلى الشعور بالهوى لما حمله العنوان من إشارات سيميائية تمثلت بلفظة (أبرهة الضليل) وما يعكسه من دلالات تتناص مع ما يحمله من أثر، وعدّه عتبة رمزية لمسار الانفعال الذي يقوم عليه الخطاب، فـ (الأهواء قبل أن توجد لم تكن سوى احتمال انفعالي بدون هوّية)[1].

ثم يبدأ الاحتمال الانفعالي بالتصاعد ليجسد الصورة العاطفية في مرحلة الاستعداد التي تمثلت بقوله: (لا صبر بعد اليوم... أطهرهم أخبث من هاروت) فقد هيّأ أسلوب النفي مؤهلات التعبير عن هوى التمرد بعدّه فائضًا هوويًا (فلا صبر، ولا سكوت) تجاه الولاة والطغاة الخانعين ما يعكس رغبة الذات (المتحينة) وإرادتها للخلاص من الشعور المخبوء داخلها وسعيها للتحرر من قيود الساسة المتخاذلين، والسماسرة المتلاعبين بالشعوب فجميعهم (أبرهة) في جنوحهم، حتى بات أطهرهم أكثر من هاروت خبثًا.

إن البنيات اللفظية التي جسدها الشاعر في لفظتي (أبرهة وهارون) تظهر العاطفة (الهوى) بوصفها زيادة وفائضًا بالمقابلة مع البنيات الكيفية، إذ يمكن التعامل مع التمرد على إنه فائض وزيادة لما تحمله الذات (المتحينة) في هذه المرحلة من إرادة ومعرفة متتابعة وحاضرة في الخطاب.

لينتقل عبرها إلى مرحلة الحدث الاستهوائي الذي تدرك فيه الذات أسباب تمردها التي صرّح بها قائلاً: (فواصلوا دفاعكم عن المنافقين والطاغوت، دكوا على صغارنا البيوت)، فالذات ضمن هذه الأجواء تتصارع مع الأزمة وإن إدراكها لأسباب انفعالها يمثل ردة فعل موازية للإحساس (أي النزوع إلى هوى معين).

(1) غريماس، أ. ج.، وفونتيني، سيميائيات الأهواء، ص51..

لهذا فإن أسلوب الأمر المتضمن إشارة التحدي في قوله: (فواصلوا، ودكوا) يعد وسيلة لكشف جذور التمرد والثورة التي امتدت لتصل إلى مرحلة الانفعال التي تعكس القلق والصراع الذي يسكن الذات (المتحينة)، ويوجهها نحو ما يعتريها من ردود أفعال في قوله: (سيّان إن سفحتم...أو في الكوت) فالحدث الاستهوائي يكمن في ردّة فعل الذات ووصولها إلى مرحلة التيقن مما ترغب والذي عبرت عنه في مرحلة التهذيب بالنزعة الجماعية التي جاءت ضمن الملفوظ الكيفي لضمير الجماعة (نحن) في قوله: (نموت لكن عراق الله لن يموت).

وقد منح أسلوب النفي بـ (لن) مرحلة التهذيب القيمة الإيجابية، إذ كشف عن إرادة الذات (المتحققة) وقدرتها على الإنجاز، فالحكم الإيجابي متوقف على مدى استعداد الذات للمواجهة على الرغم من العوائق وهو ما أظهره النص.

يبدو أن العلاقة المتأزمة بين ذات وتمردها عند الشاعر (يحيى السماوي) قد تمظهرت بوصفها أزمة مصير تجاوزت نمطها الفردي لتسير بشكل لا إرادي نحو النمط الجماعي، إذ يمكن لنا القول إنها أزمة تعبر في صورها ونشاطها التلفظي عن مصير الجماعة على لسان الذات الهوّية كما في قصيدة (إلى من يهمهم الأمر) التي يقول فيها[1]:

أيّها الجالسون خلف المسرح

ارفعوا الستارة

المشاهدون يريدون رؤية

ما يجري خلف الكواليس

أمصاصو دماء بمناقير عصافير

إحترسوا

قبل أن ينتفض

الجياع على المتخمين

والمهمشون على ذوي السيارات المصفحة

إذا كان لابد من السرقة

فاسرقوا على قدر اتساع جيوبكم

(1) السماوي، شاهدة قبر من رخام الكلمات، ص85–86.

لا اتساع أقبيتكم السرية

إن قطرة قيح واحدة

تكفي لإفساد نمير الكوز

وصوتًا نشازًا واحدًا

قد يفسد النشيد الجميل

وأن قائدًا سياسيًا فاسدًا

قد يؤدي إلى ضياع وطن

وتمزيق أمة

سأبقى خائفًا على وطني

طالما بقي في (قصر الخلافة)

سياسي فاسد واحد

انتهازي واحد.. تاجر دين واحد

إرهابي واحد.. عميل واحد.. لص واحد

هؤلاء كالطحالب

سريعو الانتشار مثل بثور الجدري

الذين تعلموا لعب الكرة برؤوسنا

والملاكمة بوجوهنا والبطولة بأطفالنا

والفحولة بأعراضنا

كيف نبدو وديعين كالحمام الداجن

حين نراهم في المقاعد الأمامية

دون أن نستعير من الصقور مخالبها

ومن الجرّاح مبضعه

لاستئصال الإصبع المسرطن

قبل أن يصل إلى الرقبة

ويمكن لنا تمثل هذا النص بالخطاطة الاستهوائية الاتية:

التكوّن	←	الاستعداد	←	المحور الاستهوائي	←	الانفعال	←	التقييم الاخلاقي
أيها الجالسون		أن قطرة قبح واحد		سأبقى خائفاعلى وطني		الذين تعلموا لعب		كيف نبدو
...		...		...		...		...
لا اتساع أقبيتكم		وتمزيق أمة		سريعو الانتشار		والفحولة بأعراضنا		قبل أن يصل إلى

إن الاضطراب الداخلي للذات الشاعرة في هذا النص يمثل المحطة الأولى في مسار التكوّن الاستهوائي في قوله:(أيها الجالسون... خلف الكواليس...لا اتساع أقبيتكم السرية)، إذ إن الخطاب المستعلي بالنداء والمطعم بأريج التهديد والوعيد والمحيط بالبنيات الكيفية في (ارفعوا الستارة) قدّم ملامح الذات الاستهوائية في الخطاب عن طريق تحريك الأحداث.

فالاضطراب الداخلي يجعل الذات في حالة تأهب للإحساس بعاطفة ما تتعلق بالتوترات الاستهوائية التي تتجلى في قوله: (أمصاصو دماء، احترسوا، قبل أن ينتفض الجياع على المتخمين، المهمشون على ذوي السيارات، فأسرقوا...)، فتكون مرحلة انكشاف شعوري مظهرة لملامح الشعور العاطفي الذي ينتاب الذات (المحتملة)؛ لامتلاكها الرغبة في البروز على مستوى الخطاب واستقبال حضور الأهواء نتيجة لتأثرها بالواقع المعيش[1].

فالمفارقات التي أوجدها الشاعر (جياع، المتخمين) و(المهمشون، ذوي السيارات المصفحة)، هي الأريج الذي تبدأ عنده لحظة انبثاق الهوى ضمن البنيات الكيفية التي احتوت أول الاحساس والمتمثلة بـ(ارفعوا، احترسوا، فاسرقوا) ويمكن تمثيل ذلك بالمربع السيمائي الآتي:

(1) سعيدة، بشار، سيمياء الانتماء في رواية الانطباع الأخير، ص43..

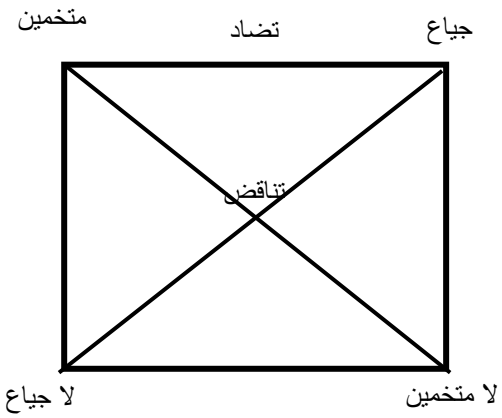

ثم تأخذ اليقظة الانفعالية بتصاعد من الانكشاف إلى التصنيف أو الاستعداد، فيتحدد عندها نوع العاطفة في قوله: (إن قطرة قيح واحدة... وتمزيق أمة) هي المرحلة الثانية التي تمثل الاستعداد والتأهب، إذ تسعى الذات (المتحينة) للخلاص (من الشعور المتخفي في داخلها، يتجلى في مختلف الصور الافتراضية التمثلية وذلك يتخيل مشاهد توافق الشعور الذي تودّ تحقيقه)[1].

وهذا ما عكسته الصورة التي وظفها الشاعر ضمن مستوى الخطاب نحو (إن قطرة قيح واحدة تكفي لإفساد نمير الكوز) و(صوتًا نشازًا واحدًا قد يفسد النشيد الجميل) و(قائدًا سياسيًا فاسدًا قد يؤدي إلى ضياع وطن وتمزيق أمة)، وهذه الصور ما هي إلا انعكاس لعملية اللحام أي انصهار الذات (المحينة) وانشطارها مع الواقع بما تتمتع به من إرادة ومعرفة (كفاءة) للدخول عبر المسار الاستهوائي إلى مستوى العميق.

وبعد امتلاكها لهذه الكفاءة تنتقل إلى مرحلة الصوغ الاستهوائي؛ لأنها امتلكت الصفات التي تؤهلها للنهوض بالفعل الذي يرتبط برغبتها أي إدراكها القيم الانفعالية للموضوع وبالتالي القدرة على التعبير عنه وذلك قوله: (سأبقى خائفا على وطني، طالما بقي في قصر الخلافة: سياسي فاسد، انتهازي واحد... لص واحد، سريعو الانتشار مثل بثور الجدري)، ليظهر الفعل الهووي كائنًا مهيمنًا عبر النشاط التلفظي للذات (الكامنة) في قوله: (هؤلاء كالطحالب سريعو الانتشار كبثور الجدري)، ومنه ينطلق إلى مرحلة الانفعال عاكسًا ما يعتري الذات الاستهوائية من ردود أفعال متمردة نحو (الذين تعلموا لعب الكرة برؤوسنا، والملاكمة بوجوهنا، والبطولة بأطفالنا والفحولة بأعراضنا)، التي احتوت الذات كرد فعل لما تعانيه حتى تصل بنا إلى نهاية المسار التي تكشف فيه الذات (المتحققة) ما يكتنفها من عواطف مخبوءة كنتيجة للتحول الاستهوائي الذي ينتابها تلك هي مرحلة التهذيب في قوله: (كيف نبدو وديعين... قبل أن يصل إلى الرقبة).

(1) العشي، عبد الله، تأويل البنية العاطفية في ديوان مقام البوح، ص108.

ويظهر فيه استعداد الذات (المتحققة) للمواجهة على الرغم من العوائق؛ ولأنها تمتلك القدرة على الإنجاز في (تستعير من الصقور مخالبها، ومن الجراح مبضعه)، ويمكن لنا تصوّر التقييم إيجابيا لامتلاك الذات القدرة على المقاومة وعدم الاستسلام.

ويستمر شاعرنا بنزعته المتمردة في رسم عالم خاص للأزمة الإنسانية التي تصارعها الذات الهوّية حتى انصهرت ضمن التناقضات التي شكلت معالم الواقع السياسي الذي تعايشه في قصيدته التي عنوانها (إذا يسألونك) وجاء فيها [1]:

إذا يسألونك

عن قلاع وحصون وقصور

الأباطرة المتخمين

قل

تنسفها ثورة الصعاليك والجياع

نسفا

وإذا يسألونك ماذا ينفقون

قل

ينفقون للأبعدين من ولاة أمرهم

وللأقربين من قناصين ومختطفين

ويطعمون الدولار على بغضه القاتل

والآفك والمنبوذ

والمنافق والدجال

لا يريدون منهم جزاءًا وشكورًا

إنّما

ليطعموهم صكّ الجنة في بيت

(1) السماوي، ملحمة التكتك، ص70–71..

مال الدنيا

إنها ساعة مستقرًا ومقامًا

إذ نجد هذا النص يسير وفقًا للمسار الاستهوائي الآتي:

ويمكن لنا تمثل هذا النص بالخطاطة الاستهوائية الاتية:

التكوّن	←	الاستعداد	←	المحور الاستهوائي	←	الانفعال	←	التقييم الاخلاقي
إذا بسألونك		قل ننسفها		وإذا يسألونك ماذا ينفقون		وإذا يسألونك ماذا		لا يريدون منهم
...		...		...		...		...
الأباطرة		نسفًا		المنافق والدجال		المنافق والدجال		إنها ساءت مستقرًا

يقوم مضمون هذا النص على أزمة الذات المتمردة من جراء انعدام العدالة في واقع انعدمت فيه؛ نتيجة هيمنة السلطة الحاكمة حتى تحولت إلى صراع تتدافع فيه الانفعالات ضمن مسار التوتر بنزعة جماعية تبدأ من مرحلة تكوّن الشعور التي تمثلت من العنوان وتضمينه في النص (إذا يسألونك عن قلاع وحصون وقصور الأباطرة المتخمين)، وفيه تهيأت الذات (المحتملة) للشعور بالهوى كأريج يتوقف عنده الإحساس الأولي للتمرد من دون تصريح به إلا بمقدار ما نستنشقه من عبير الهوى أي رغبة الذات(المحتملة) الذي أقامه الشاعر على لغة الحوار من طرف واحد، إذ لا تنتظر الذات الهوّية من الآخر أجوبة؛ لأن انفعالها كامن في دواخلها.

وتتصاعد وتيرة الأحداث لتتولد منها العاطفة التي أيقظت الذات (المتحينة) للتعبير عمّا يعتريها من شعور بالرفض والتمرد لامتلاكها كفاءة المعرفة والإرادة في مرحلة الاستعداد والتأهب التي تمثلت بقوله: (قل تنسفها ثورة الصعاليك الجياع نسفا).

إذ تشكلت الصورة العاطفية الرافضة للذات المنصهرة ضمن هذا التناقض، الناتج من تغلغل وضع الأفراد في محيط غير متجانس (أباطرة متخمين، وصعاليك جياع).

فالبنية اللفظية (صعاليك) مثلت المعادل الكيفي للملفوظ السردي في الخطاب، إذ وفرت مؤهلات الانتقال إلى المرحلة الثالثة ضمن المسار الاستهوائي وهي مرحلة الصوغ الاستهوائي التي أدركت الذات (المحينة) عندها أسباب انفعالها وتمردها كنتيجة لما مرّت به في المرحلتين السابقتين وذلك قوله: (وإذا يسألونك ماذا ينفقون... المنافق والدجال).

فقد أخذت الذات الهوّية الكامنة هنا دور السارد ضمن النشاط التلفظي بكفاءة وصف الواقع المرفوض فالولاة ينفقون لأسيادهم(الأبعدين من ولاة أمرهم)، وللأقربين من المجرمين والارهابيين (القناصين والمختطفين)، ويسرفون الأموال على حاشيتهم من (القتلة والمنافقين الدجالين)، وأمام هذا الفائض الهووي لابد من ردّة فعل تعكس ما يعتري الذات الاستهوائية من جرائها والتي اختزلها الشاعر ضمن مرحلة الصوغ الاستهوائي ليكون تكرار السؤال مفتاحًا لمرحلة الانفعال أو الحدث الاستهوائي (إذا يسألونك)، إذ إنه يعكس ما يعتري الذات من تيهٍ وضياع وفقًا للواقع المعيش، وبتكراره تحولت الذات الهوّية إلى ذات جماعية تتماز بعدم القدرة على التحمل وإرادة التمرد التي انطلقت بها نحو مرحلة التهذيب لتكون نهاية المسار الاستهوائي الذي بدأته (لا يريدون منهم جزاءً وشكورًا... وإنما ليطعموهم صكّ الجنة... إنها ساءت مستقرا مقامًا).

فما دام هناك ثورة وتمرد إذن هنالك كتلة انفعالية تتجلى بالرفض لما آل إليه الواقع وامتلاك إرادة التحرر بما تمتلكه الذات (المتحققة) من إرادة وقدرة على الإنجاز الذي ترجم بالملفوظ السردي للخطاب (لا يريدون، ليطعموهم) الذي كشف النمط الجماعي الذي تقيم وفقه الذات (المتحققة) إيجابًا لإيمانها بأن هذا المصير فانٍ كفناء الدنيا (إنها ساءت مستقرًا ومقامًا).

ويستمر الشاعر بنبرته المتمردة صادحًا برفضه للواقع المؤلم على وتيرة متصاعدة من الشحنات الانفعالية وفق مسار التوتر، في قصيدته (كلمات متقاطعة) يقول فيها[1]:

لا طاعة لحاكم محكوم

لماذا يمشي الطاووس متبخترًا

ألا يعرف أنّه ودجاج حديقة الحيوانات

يسكنون قفصًا واحدًا

آه لو أعرف أية آيات يتلوها

حجاج البيت الأبيض حين يطوفون

كل ما أعرفه أنهم يقدمون الأوطان

(1) السماوي، يحيى، شاهدة قبر من رخام الكلمات، ص35، 42، 54، 86، 92، 126–129؛ ملحمة التكتك، ص13، 16، 19، 28، 31، 40–45، 48؛ مناديل من حرير الكلمات، ص146، 149–151؛ البكاء على كتف الوطن، ص60، 178، 202؛ مسبحة من خرز الكلمات، ص109، 194؛ حديقة من زهور الكلمات، ص77، 110، 143، 171–173، 181–182، 184؛ قليلهن لا كثيرهن، ص72؛ قلبي على وطني، ص168..

أضحية وقرابين

هذا ليس انصافًا سيادة الرئيس

لقد أمرت بإقامة نصب للجندي المجهول

أطالب فخامتكم بإقامة نصب تذكاري

للشعب المجهول

وطني ليس هندوسيًا ولم يمت بعد

فلماذا يصرّون على إحراقه حيّا

أحكومة تصريف الاعمال؟

أم مواسير صرف صحي

تلك التي ارتهنت غدنا

لدى صيارفة واشنطن

نحن الصعاليك سيماؤنا في وجوهنا

من أثر تحديقنا بالأفق

أما الأباطرة فسيماؤهم في مؤخراتهم

من أثر التشبث بالكراسي

هم يلوثون الجدران بتصاويرهم

ونحن نطرز فضاء الوطن بالفراشات

معتصمون بحبل الأجنبي

متعاونون على (المن والسلوى)

عاقدون العزم

على عقد الصفقات السرية

أهذا وطن؟ أم سوق نخاسة؟

يمكن لنا تمثيل النص بالآتي:

التكوّن	⟵ الاستعداد	⟵ المحور الاستهوائي	⟵ الانفعال	⟵ التقييم الاخلاقي
لا طاعة لحاكم	هذا ليس إنصافا	أحكومة تصريف أعمال	نحن الصعاليك	معتصمون بحبل
...	...	...	...	...
أضحية وقرابين	فلماذا يصرون	لدى صيارفة واشنطن	ونحن نطرز فضاء الوطن	أهذا وطن أم

إن ذات الشاعر في هذا النص تنطلق من رؤية واعية للواقع؛ لأن بناء المسار الاستهوائي على التناقضات يهيىء البؤرة التي تتولد منها الشحنات الانفعالية للذات الهوّية وتظهر كقوة معادلة لهذا الاصطدام في مرحلة التكوّن أو الانكشاف الشعوري في قوله: (لا طاعة لحاكم... لماذا يمشي الطاووس... ألا يعرف... أضحية وقرابين).

فتوظيف أسلوبي النفي والاستفهام يعكس جذور الثورة والتمرد ورغبة الذات (المحتملة) لتبني هذا الشعور وفق رؤية تحمل فكرا تمرديّا يصف قلقًا وصراعًا يسكن الذات وبوجهها وفقًا لمضمون الأحداث التي تنازعها فما دام الحاكم تابعًا لمحكوم فلا طاعة له.

وما دام الحاكم(طاووس) تابعًا فلماذا التبختر فهو والرغبة في مقام واحد(قفص)، فـ (الطاووس والدجاج، والقفص وحجاج البيت الأبيض) أضحت إشارات سيميائية معلومة الدلالة للولوج في عوالم التمرد التي تمظهرت على السطح في قوله: (إنهم يقدمون الأوطان أضحية وقرابين).

وتمثل مرحلة التأهب والاستعداد دخول المسار الاستهوائي إلى المستوى العميق، فالهوى قد تحدد بعدّه هوى مهيمنًا على ملامح الأهواء الناتجة عن إحساس الذات (المحينة) في قوله: (هذا ليس إنصافا سيادة الرئيس... فلماذا يصرّون على إحراقه حيّا) فعاطفة التمرد التي أيقظت شعور الشاعر جاءت ضمن الملفوظ السردي المباشر (لقد أمرت بإقامة نصب الجندي المجهول، أطالب فخامتكم بإقامة نصب تذكاري للشعب المجهول).

فهذه المقابلات الضدية عكست المؤهلات التي تتمتع بها الذات (المتحينة) ككفاءة موازية للتعبير عن هوى التمرد والرفض إلا أن هذه الكفاءة هي رغبة موجهة من خلال إرادة ومعرفة وتكمن قوة الخطاب في هذه المرحلة بحسب التحدي الذي تفرضه الوقائع على شكل ردّة فعل لمؤثرات السلطة الحاكمة فتحول الخطاب إلى خطاب معاكس تعويضًا عن الواقع الحنظلي الذي تقاسيه الذات، وقد تمظهر ذلك في قوله: (وطني ليس هندوسيا ولم يمت بعد، فلماذا يصرون على إحراقه حيّا).

فإرادة الذات واضحة وفق الظلال الدلالية للملفوظ السردي، التي يتحدد وفقها الهوى الغالب عند إدراك الذات (المتحينة) للقيم الانفعالية التي عانتها في مرحلتي (التكوّن والاستعداد)، لتنطلق منها إلى مرحلة الصوغ الاستهوائي التي تمثلت بقوله:(أحكومة تصريف أعمال؟... لدى صيارفة واشنطن).

فاندفاع الذات نحو التمرد ناتج عن وصولها إلى مرحلة إدراك الواقع الذي تعيشه بعلاقة اللحام وتشظيها في متاهات الخيال وتبعية الحكومات التي حوّلت الوطن إلى بنك مرتهن لدى صيارفة واشنطن وبهذا فقد مثلا المحور الاستهوائي المرحلة التحويلية الأساسية التي ستنتقل منها الذات الاستهوائية إلى مرحلة الانفعال بعد إدراكها بسبب تمردها الداخلي[1]، والتي تتمظهر بقوله: (نحن الصعاليك سيماؤنا في وجوهنا... ونحن نطرز فضاء الوطن بالفراشات).

فقد بنى شاعرنا انفعالاته على الردود الجسدية للذات التي أتضحت وسيطًا بينها وبين الواقع عن طريق الموازنات الضدية في فضاء الخطاب الذي يعكس الحدث الاستهوائي الصاعد وفق مسار التوتر الذي منح الخطاب صفة التحدي، بالضمير السارد (نحن) الذي يعكس ما تتمتع به الذات (الكامنة) من قدرة على التواصل نحو قوله: (نحن الصعاليك سيماؤنا في وجوهنا من أثر التحديق بالأفق، أما الأباطرة فسيماؤهم في مؤخراتهم من أثر التشبث بالكراسي) و(هم يلوثون الجدران بتصاويرهم، ونحن نطرز فضاء الوطن بالفراشات) فشتان بين هذه وتلك.

فتمظهرات العاطفية التي اكتسبت طابعًا تصويريًا منحت إمكانية ملاحظة جملة التوترات الاستهوائية التي اعترت الذات (الكامنة) ضمن المحفل الخطابي الذي امتد بالحدث ليصل إلى منتهاه في مرحلة التهذيب التي تكشف فيها الذات (المتحققة) نتيجة التحول الاستهوائي عن طريق البوح بما تخفيه من عواطف وأحاسيس وذلك قوله: (معتصمون بحبل الأجنبي...أهذا وطن أم سوق نخاسة؟).

إذ يمكن لنا أن نصور حكمًا إيجابيًا يتضمن استعداد الذات للمواجهة بإرادة الانجاز التي تمثلت بالشفرات السيميائية التي منحها أسلوب الاستفهام الاستنكاري والتي تؤكد مقاومة الذات وعدم احتمائها بالأزمة الاستهوائية تراجعًا

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يتضح لنا من خلال دراستنا أن التمرد السياسي عند يحيى السماوي لم يكن مجرد موقف انفعالي عابر، أو ردّة فعل وقتية تجاه حدث طارئ، بل كان أداة تعبيرية واعية ومقصودة عبّر من خلالها عن مختلف أشكال الظلم والاستبداد والتهميش التي عانى منها المجتمع.

(1) هندسة الأهواء في رواية الضوء الهارب، ص104.

فقد تجلّى التمرد في نصوصه بوصفه موقفًا فكريًا وجماليًا في آنٍ واحد، يتجاوز حدود الرفض المباشر إلى بناء رؤية نقدية تستبطن الواقع وتعيد مساءلته شعريًا.

كما أن التمرد السياسي في شعر السماوي يبرز بوضوح حجم التداخل بين الأدب والسياسة، ويؤكد أن الشعر لم يكن بمعزل عن القضايا المجتمعية والإنسانية التي عاصرها الشاعر، بل كان منخرطًا فيها بوعيٍ ومسؤولية، يسعى إلى تفكيك أنساقها وكشف اختلالاتها. ومن ثمّ، فإن شعر السماوي يمثل نموذجًا للقصيدة التي تتجاوز البعد الجمالي الخالص لتؤدي وظيفة ثقافية ونقدية، تجعل من التمرد طاقة دلالية تسهم في إعادة تشكيل الوعي الجمعي ومقاومة أشكال الهيمنة والقهر.

النتائج:

يمكننا الوقوف عند جملة من النتائج التي انبثقت حصيلة جهدي المتواضع هذا، وأهمها ما يأتي:

- شكل هوى التمرد ظاهرة لافتة في شعر (يحيى السماوي)، إذ ارتبط بتشظي الذات وفقدانها لوجودها الإنساني مما أدخلها في نوبة من التقلبات العاطفية التي أخذت مداها الوطني، والسياسي، والقومي الذي تمظهر بمواجهتها لقوى الاحتلال ورفضها الخضوع رغبة في الخلاص.
- يمثل هوى التمرد عند السماوي ردّة فعل للانفعالات التي تصارعها الذات المضطربة صعودًا وهبوطًا وفقًا لحالة الرفض التي وظفها في نصوصه مما يعكس التوتر الذي ينتاب الذات الاستهوائية نتيجة الشعور بالضياع الوجودي، والتمرد، والاقتراب، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لشاعر عانى ما عانى من التشرد والسجن والتعذيب، مما اضطره إلى الهجرة فاستفحلت المشاعر المكبوتة بركانًا من الغضب والثورة والتمرد.
- تحول التمرد محمولًا هوويًا يجسد البعدين التوتري والاستهوائي المتمثل بحالة الصراع الداخلي للذات الناقمة.
- انماز هوى التمرد عند الشاعر بأنه صورة انعكاسية لماضي الذات الذي استحضره الشاعر في معظم نصوصه الغاضبة؛ ليجعل منه أداة تتوسل الحاضر لاستشراف مستقبل أكثر نزاهة، فلطالما اتّكأ الشاعر على الخطاب الاستنهاضي ليوقظ تلك المشاعر المخبوءة، كاشفًا عن إرادة التغيير سخطًا وتمردًا
- التمرد السياسي ظاهرة تعكس رفض الفرد والمجتمع لواقع سياسي مؤلم قائم على كل أنواع الظلم والسيطرة فيكون الفرد رافضا لذلك الظلم فهو محاولة لتغيير هذا الواقع.

التوصيات:

- التوسع في الدراسات السيميائية عامة ودراسة سيمياء الاهواء خاصة
- لابد من وجود اصلاح سياسي واجتماعي حتى يتم استقرار الفرد فالشعر أداة معبرة عن المجتمع
- نوصي بالتركيز على موضوع سيمياء الأهواء لأنها دراسة تتماز بالحداثة
- تطبيق اليات سيمياء الاهواء التي وظفها غريماس وفونتاني على النصوص الشعرية
- الاستفادة من المناهج الحديثة لفهم أسباب التمرد المجتمعي

قائمة المصادر والمراجع:

- بدوي، عبد الرحمن، 1980، دراسات في الفلسفة الوجودية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- دوابشة، محمد، 2009، ظواهر من التمرد في الشعر الأموي.
- سعيدة، بشار، 2019، سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير) لمالك حداد، ط1، الجزائر، دار المثقف للنشر والتوزيع.
- السماوي، يحيى، 2012، مناديل من حرير الكلمات: نصوص نثرية، ط1، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- السماوي، يحيى، 2019، شاهدة قبر من رخام الكلمات، ط1، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- السماوي، يحيى، 2020، ملحمة التكتك: نصوص نثرية وشعرية، ط1، بغداد، إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- عزة، محمد رشاد، 2023، ظاهرة التمرد في الشعر العربي بين القديم والحديث، مجلة حوليات آداب عين شمس (دورية علمية محكمة)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مجلد 51، عدد 5، القاهرة.
- العشي، عبد الله، تأويل البنية العاطفية في ديوان مقام البوح.
- غريماس، أ. ج. (جاك الجيرداس)، وفونتيني، ترجمة: سعيد بنكراد، 2010، سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

- كامو، ألبير، ترجمة: د. علي أحمد، 2024، الإنسان المتمرد، ط1، سوريا، دار التنوع الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.
- كرانستون، موريس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، 1981، سارتر بين الفلسفة والأدب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكيالي، عبد الوهاب، 1999، الموسوعة السياسية، ط4، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الأول.
- يحياتن، محمد، 1984، مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ط2، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية.